كتاب مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب

لجمال الدين محمد بن سالم بن واصل

(الجزء الأول : ٢٤ + ٢٩٤ صفحة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٥٣)

نشر وتحقيق الدكتور جمال الدين الشيال
أستاذ التاريخ الاسلامى بجامعة الاسكندرية

نقد بقلم

الأستاذ كلود كاهن

أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة ستراسبورج

لقد تفضل الأستاذ الشيال – فى رقة ومجاملة – فأشار إلى ما يعود إلىّ فى نشأة الفكرة التى خطرت له بنشر «المفرج» ، لهذا أرى أن الواجب يقضى علىّ أولا بأن أذكر مدى ما ندين له به ليدئه فى القيام بنشر هذا الكتاب ، وكلنا أمل أن لا تشغله مهام أخرى عن إتمام العمل الذى بدأ به ، وفى وقت قريب .

وإنى أكرر هنا ما سبق أن قلته فى كتابى « سوريا الشمالية : "*La Syrie de nord*" أنه من المؤسف حقا أن يظل مصدر من المصادر الرئيسية فى التاريخ العربى مجهولا للناس ولا يفيد منه أحد ، رغم ما يمتاز به مؤلفه – ابن واصل – من ذكاء ومعرفة وسعة اطلاع ، ورغم وجود عدد من المخطوطات الصالحة التى لم يكن من الصعب الحصول عليها .

نشر هذا النقد فى مجلة اوريان "*Orients*" بعنوان :

Claude Cahen: Ibn Wasil (M. b. Salim, Gamal ad-Din) *Mufarrig al-Kurub fi Akhbar Bani Ayyub. Ed.* Gamal ad-Din as-Shayyal. *Universite d'Alexandrie. Impr. Universite Fouad I, 1954. 24, 294 p. Orients, vol. 9, no 1, Annee 1954*

والمجلة تشكر الزميلين الأستاذين لطفى سوسى فهم وراشد فصيل ، لتفضلهما بالمعاونة فى ترجمة هذا البحث الى اللغة العربية .

وليس هناك أى كتاب يمكن أن يتطاول إلى مرتبة « مفرج الكروب » لابن واصل ، من حيث أهميته لدراسة تاريخ الأيوبيين ؛ ولئن سلمنا بأننا كنا نعرف قسما كبيرا من محتوياته ، فقد كان ذلك عن طريق المراجع التاريخية اللاحقة به التى انتهلت كلها منه بطريق مباشر أو غير مباشر ، وسواء ذكر أصحابها اسمه أو أغفلوه ؛ وتقع المسئولية الكبرى فى هذا الشأن على عاتق اثنين :

أولهما : أبو الفدا — صاحب حماة — الذى نسخ فى مؤلفه المشهور «المختصر فى أخبار البشر» كتاب مواطنه ابن واصل الذى يسبقه بجيلين ، وبشكل جعل الناس يحسبون أنه لا فائدة من الرجوع إلى المصدر الأصيل .

وثانيهما : المجمع الفرنسى الذى لم يشر إلى اسم ابن واصل فى الوقت الذى أعاد فيه نشر كتاب أبى الفدا فى موسوعته الكبيرة عن الحروب الصليبية " *Recueil des Historiens des Croisades* " ، مخالفا بهذا النهج السليم الذى وضعه رينو "Reinaud" فى مجموعته « المكتبة الصليبية " *Bibliotheque des Croisades* " .

والمجلد الأول الذى ظهر أخيرا لا يكشف عن أهمية «مفرج الكروب» الحقيقية ، وذلك لأنه وصل إلى الفترة السابقة لعهد الأيوبيين ولتولى صلاح الدين الحكم ، وبمعنى آخر ، فهذا الجزء يؤرخ لعماد الدين زنكى ولابنه نور الدين محمود ، وهذه فترة سابقة للعهد الذى عاش فيه المؤلف ، ولهذا فقد اقتصر — عند تأريخه — لهذين الرجلين — على الأخذ عما كتبه سابقوه — وخاصة ابن الأثير — ، أو تلخيصه .

ولا تتضح قيمة «مفرج الكروب» كمؤلف مبتكر إلا ابتداء من العصر التالى لوفاة صلاح الدين ، ذلك أن ابن واصل يعتمد — فى الأجزاء الأخيرة — على وثائق أصيلة ، ولهذا السبب فنحن لا نستطيع أن نجد له بديلا .

لقد آثر الناشر — الأستاذ الشيال — البدء بالبداية ، وقد وعد أن يزودنا بدراسة مستفيضة دقيقة عن ابن واصل وكتابه «المفرج» ، وإنى لعلى يقين — بعد أن اطلعت على رسالته للدكتوراه التى لم تنشر بعد ، والتى تفضل

بارسالها إلى — من أن هذه الدراسة التي بانت تباشيرها في الرسالة ستكون قيمة ، ولقد آثر الشيال كذلك أن لا يقدم لنا هذا البحث إلا بعد أن يتم نشر مفرج الكروب ، ومن الواضح أننا سنفيد حينئذ من هذا البحث فائدة كبرى .

إنني لن أسبق الحوادث فأتحدث مقدما عن هذا البحث ، واكتفي بالقول بأن هذا المجلد الأول الذي نشره الأستاذ الشيال كان عملا ناجحا ، وقد اعتمد عند تحقيقه على عدد من المخطوطات ، وخاصة مخطوطة كمبردج .

ولا يسعني إلا أن أشيد هنا بفضل الأستاذ الشيال لعنايته في حواشيه وتعليقاته بالبحث والتنقيب عن المصادر التي استعملها ابن واصل — حين كان يختلف عن ابن الأثير — ، ولطالما نددت بقلة اهتمام الباحثين بهذه المقارنات ، ولقد لاقى الشيال بعض الصعاب حينما حاول أن يقارن بين مفرج الكروب وبين تاريخ ابن العديم ، ويرجع هذا إلى أنه في الوقت الذي أعد فيه الشيال نصه للطبع لم يكن سامي الدهان قد نشر بعد تاريخ حلب لابن العديم ، ولكن الأجزاء اللاحقة من مؤلف ابن العديم تثبت أنه أفاد من مفرج الكروب رغم عدم اعترافه بهذا ، مع تحفظ واحد ، هو أن ابن واصل ذكر بين مصادره علي بن منقذ ، وهو أحد المصادر التي كان يرجع إليها ابن العديم ؛ ولن يتيسر تحديد العلاقات ، ودراسة الصلات بين هذين المؤلفين إلا حين يقدم لنا سامي الدهان «بغية الطلب» ، وفيها يذكر ابن العديم المصادر التي كان يرجع إليها ، وينقل عنها مقتبسات وافية .

ويذكر ابن واصل بين مصادره التي استعملها في الفترة التي يغطيها هذا المجلد الأول اسم مواطنه وقريبه الذي يكبره قليلا «ابن أبي الدم» ، وهو مؤلف لموسوعة تاريخية لم يبق منها إلا ملخصات ضئيلة ، منها نسخة مخطوطة في اكسفورد ، وهناك كذلك بعض المعلومات القيمة حصل عليها ابن واصل من أبيه ومن أشخاص آخرين كان ينقل عنهم شفاها ، وخاصة فيما يتعلق بتاريخ الفاطميين .

ويرجع الفضل هنا أيضا إلى الأستاذ الشيال لأنه وفق فى إثبات أن ابن واصل استعمل — فيما يتعلق بأحداث العراق — تاريخ ميا فارقين لابن الأزرق الفارقى ، وإن كان لم يذكر اسم هذا المرجع ولم ينص على النقل عنه (وتاريخ ابن الأزرق الفارقى لم ينشر بعد ، وقد اقتبس فقرات منه آمفروز من مخطوطة لندن ، أثبتها فى هوامش نشرته لذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى) .

أما المجلدات الأخيرة من مفرج الكروب فهى جديرة بدراسة أكثر تعمقا .

وأما المجلد الذى نحن بصدده فلا يليق بى أن أطيل الحديث عنه ، حتى لا أسيء استغلال كرم هذه المجلة ، وإن ما سبق أن قلته لكفيل أن يوضح مدى رغبتنا فى أن نرى الأستاذ الشيال يتابع نشر هذا المؤلف الرئيسى الذى ظل مجهولا حقبة طويلة من الزمن ، وإن فيما بدأ به لخير ضمان على أنه سيتم نشره نشرا علميا ممتازا .